# تحــري الحـــلال

إن السعي في الأرض لطلب الرزق مطلب شرعي أمر به ديننا الحنيف ، وهو أمرٌ فطري ، وهو حتم واجب على كل قادر محتاج إليه، به تعمر الأرض وتتحقق خلافة الإنسان فيها ، قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة:٣٠]، ويحفظ المرء به مروءته وكرامته ، لذا حثَّ القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش والعمل ، وجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة ، يقول تعالى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة:١٠] ، وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك:١٥]. وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

وليعلم العبد أن أفضل ما أكله ما كان من سعيه وكدِّه وتعبه هو ، فلا ينتظر عطية ولا هبة ولا يتطفل على أحد ، فعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (رواه البخاري).

ولقد جاء الوعيد الشديد من النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن تقاعس عن السعي وخلَد للكسل والراحة واطمأنّ إليها ، فضيَّع نفسه وسأل الناس وتكففهم ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنَّ النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ) (متفقٌ عَلَيْهِ). المزْعَةُ : القِطْعَةُ .

كما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من سوء العاقبة لكل من تكاسل؛ فضيع من هم تحت ولايته ، فأهملهم وتركهم بلا عائل ولا نفقة؛ حتى ضاعوا في غياهب الفقر ، وذل الحاجة والمسألة ، فتكون النتيجة أن تتلقفهم يد الضلال والإجرام والفساد ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالمَرْءِ إثْمَاً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) (رواه أَبُو داود)، وفي لفظ مسلم: (كَفَى بِالمَرْءِ إثْمَاً أنْ يحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ)، فلو لم يعمل المسلمُ من جرم إلا أنه حبس القوت عن أهله ، أو ترك السعي عليهم وتركهم يتكففون الناس ويطلبون بأنفسهم الأقوات على ضعفهم وصغرهم لكفاه ذلك الجرم أن يتبوأ به من سخط الله وغضبه مبلغًا.

**ولقد جاء الأمر في القرآن الكريم بتحرى المال الحلال ، فلا يصح أن يأكل المسلم حرامًا، أو أن يُطعم أحدًا ممن يسعى عليهم ذلك ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:٥١]، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة:١٧٢]. وذلك لما لتحري الحلال من أثر طيب في قبول العبادة ، فالله (عز وجل) طيب لا يقبل إلا طيبًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:٥١] ، وَقَالَ تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:١٧٢] ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)، فالمال الحلال والكسب الطيب يشرح الصدر ، ويكسب الطمأنينة ، ويعين على الطاعة.**

**ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الحلال في مجمله ظاهر واضح ، وبينه وبين الحرام أمور يعلمها أهل العلم ، ثم بيّن أن طلب الحلال وترك الحرام واجب محتم ، وأن تناول الحرام له عواقب سوء منها: فساد القلب وقسوته ، فعَنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ (رَضي الله عنهُما) قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يقولُ : (إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ ، وبَينَهُما أُمُورٌ مُشتَبِهاتٌ ، لا يَعْلَمُهنّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّبهاتِ استبرأ لِدينِهِ وعِرضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يرتَعَ فيه ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محارِمُهُ ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلُّه ، وإذَا فَسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كلُّه، ألا وهِيَ القَلبُ) (متفق عليه).**

**وكذلك حذرت الشريعة الإسلامية من الكسب الحرام لما له من آثار**

**وخيمة على الأمة سواء على دينها أو قيمها أو أخلاقها.**

**ومن ثمَّ حرمت الشريعة الإسلامية كل صور المعاملات المحرمة التي من شأنها أن توغر الصدور ، وتفسد العلاقة بين المسلمين ، وتكون سببًا في عرقلة التنمية الاقتصادية ، فقد حرَّم الإسلام الربا بوصفه أولى العقبات في التنمية الاقتصادية ، ووسيلة سهلة لسرقة أموال الناس دون عمل، وسدَّ الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا، فحرّم قليله وكثيره ، يقول تعالى:{وَأَحَلَّ**

اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة:٢٧٥]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٨– ٢٧٩]، فهذا وعيد شديد لمَن لم يَنتهِ عن الرِّبا.

وكذلك أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حربه على الربا والمرابين ، وبيّن خطره على المجتمع ، فقال: (إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَة، فقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ، ومُوكِلَه ، وشَاهِدَيْه ، وكَاتِبَهُ) ، فآكِل الربا مَلعون، واللعنَةُ: هي الطرد مِن رحمة الله (عزّ وجلّ) ، فعلينا بتقوى الله (سبحانه وتعالى) وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحَرام ، والتعامل بالربا الذي يُطرَد آكِلُه من رحمة الله تعالى.

وكذلك حرمت الشريعة الإسلامية (الغش في التعامل بين المسلمين)، فقد أكد القرآن الكريم حرمة هذه الآفة الخطيرة ، وتوعد عليها بالويل والخسران، لمن يتلاعب بالوزن والكيل ، فقال سبحانه: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين:١– ٣].

فالغش خيانة وخداع ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، وفاعله مذموم عقلاً وشرعًا ، وقد ثبت تحريم الغش بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فعموم الآيات التي تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل، ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء:٢٩].وأما السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على تحريم الغش، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم):(مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) (سنن الترمذي).

**فوائد الكسب الحلال**: ولكسب الحلال والسعي عليه فوائدُ جمَّةٌ جاءت بها السنة المطهرة ، منها:

١. أن السعي على الحلال سبب من أسباب قبول الدعاء واستجابة الرجاء ، وقبول العمل الصالح ، فالله (عز وجل) لا يقبل دعاء من دعاه ورجاء من رجاه ؛ إلا إذا كان طيّبَ المأكل والملبس والمشرب ، فالله (عزّ وجلّ) طيب لا يقبل إلا طيبًا من الأقوال والأعمال والنيات ، فلا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرًا من المفسدات كلِّها ، كالرياء والعُجب ، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالًا، طيب في كسبه، طيب في قصده، طيب في إحسانه وإتمام العمل على الوجه الأكمل بقدر الطاقة.

٢. السعي على طلب الحلال هو سعي في سبيل الله ، فالعبد يؤجر عليه ، لو مات في سعيه لكان موته في طاعة ، فعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (رواه الطبراني في الكبير).

٣. السعي في طلب الحلال من أسباب المغفرة للذنوب، فهو امتثال لأمر الله بالعفة وكفاية النفس والأهل ، فعن المقدام بن معد يكرب ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَا أَكَلَ رَجُلٌ طَعَامًا قَطُّ أَحَلَّ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ، مَنْ بَاتَ كَالًّا مِنْ عَمَلِهِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ) (رواه الطبراني).

. السعي على الحلال سبب في الإنبات الطيب للذرية والأهل، فالعبد يَجِدُّ في السعي والطلب دافعه الأول لذلك الولد وإن كان لا يشعر ، لذا تجد الرجل العقيم يسعي في الأرض بتراخي لا يصارع على الدنيا، فليعلم العبدُ أن ولده الذي كان سببًا في خروجه يسعى ويصارع الناسَ في طلب الدنيا لن ينتفع به في دنيا ولا في آخرته إن أنفق عليه الحرام، ففي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الترمذي)، فما نبت من حرام يؤول حاله إلى ما يستحق به النار من العمل والسعي الطالح، فكأنَّ صاحب الكسب الحرام إنما ينشئ عبادًا فسقة طغاة بنفقته الحرام عليهم ، فالخبيث ينبت خبيثًا ، فلا ينعم ببرهم في الدنيا ، ولا ينتفع بدعائهم ولا عملهم بعد وفاته ، لأن الله (عز وجل) قال:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة:٢٧]، وهم ليسوا من المتقين ، فلا يقبل لهم دعاء إن دعوا لأبيهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) (رواه الترمذي).

ومن ثم فيجب على المسلم أن يتحرى الحلال في كسبه ونفقته وما يُدخله على نفسه وأهله ، وليحتسب سعيه في سبيل الله ، وليعلم أن أهله أمانة ، يسأل عنها يوم القيامة ، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كَانَ لأبي بَكر الصديق (رضي الله عنه) غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَيءٍ ، فأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ ؟

قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلاَّ أَنّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي لِذلِكَ ، هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ)(رواه البخاري)، والخَرَاجُ: شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ كُلَّ يومٍ ، وَباقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ. فيجب على العبد أن يتحرى الحلال ويطلبه ، ويبتعد عن الحرام وطرقه ، وليعلم أن في الحلال عطايا جمة،

وأن في الحرام بلايا مستترة. نسأل الله تعالى من فضله وعطاياه.